كان الهدف من هذه الدراسة تتبع شخصية عبدالحليم خدام من بداية حياته ١٩٣٢ حتى عام ١٩٨٩، وكذلك مواقفه وأدواره ، وتحركاته السياسية في تلك المدة وعلى هذا الاساس توصلنا الى جملة من النتائج :-

١- لم يكن عبدالحليم خدام سليل عائلة عريقة ذات دور سياسي بارز أو اقتصادي ناشط ، بل خرج من رحم عائلة تنتمي إلى الطبقة البرجوازية الصغيرة ، ومنذُ نعومة أضافره أكمل دراسته بنجاح والتي خلالها امتزجت أفكاره مع أفكار أقرانه في الدراسة التي تهدف إلى التحرر والاستقلال والحرية التي مهدت دخوله المعترك الحزبي والانتماء إلى حزب البعث ومن هنا بدأ نشاطه السياسي، وكابح من أجل الارتقاء بمستوى عالي من الثقافة لمواصلة طموحاته وفعلاً تم له ما أراد بحصوله على شهادة الحقوق من جامعة دمشق السورية ،اذ ساهمت تنشئته القانونية ولباقته إلى جعله الأَكثر بروزاً بين اقرانه ،فساهم على توليه الشؤون الإدارية لعدد من المناطق السورية ثم منصب وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية الذي استطاع من خلاله تكريس عمله لخدمة بلاده لخوض معركة التحرير وبناء اقتصاد قوي لمواجه (إسرائيل).

٢ – وفقاً لما سايره من أفكار وطموح أرآد أن يجعل منها واقعاً ملموساً ،فشارك حافظ الأسد رفيقه في العمل الحزبي في إجراء تغيرات جذرية على السياسة المتبعة والخروج عن العزلة التي تعاني منها سورية ،التي اصبحت عام ١٩٧٠ ساحة للصراع بين أَفراد وجماعات أعضاء حزب البعث لتصفية حسابات ومصالح شخصية بينهما لها أبعاد مختلفة أذ لم يكن ذلك الصراع نتاج ليلة وضحاها أو حدثاً مؤقتاً مرت عليه الأَيام بل عميق تعود جذوره إلى نكسة حزيران عام ١٩٦٧ فألت نتائجه إلى القيام بالانقلاب بقيادة حافظ الأَسد وعبدالحليم خدام واعضاء آخرين في الحزب، الذي لم يكن انقلاباً بل حركة تصحيحية والتي كان فيها عبدالحليم خدام ليس مجرد ظل لقائدها ناطقاً باسمه وامتداداً لأفكاره بل كان الرجل الثاني في الحركة بدور بارز ومهمات مميزه ولم يكن راكباً في حَملتها وإنما أحد راسمي خططها ومهندسي أساليبها .

٣ – لا شك في أن تلك المواقف التي ألتزم بها عبدالحليم خدام قد انعكست واعطت انطباعاً جيداً عنه بعد توليه منصب وزارة الخارجية خاصة بعد انفتاح سورية على البلدان العربية بعد انقلاب ١٩٧٠ وتوثيق علاقاتها مع هذ الدول ولاسيما مصر التي يرى فيها عبدالحليم خدام سنداً قوياً لبلاده في مواصلة النضال

العربي والكفاح الثوري ضد (إسرائيل) وخوض حرب التحرير حتى يتم تحرير كامل الأَراضي العربية المحتلة ونصر القضية الفلسطينية وجعلها كبند مستقل على جدول أعمال الجامعة العربية وتكاتف الدول العربية كافة لنصرة هذه القضية وبذلك أثبت عبدالحليم خدام مواقفه القومية البارزة التي لا تتزعزع فرفض بشدة الخضوع (لإسرائيل) ومخططاتها ضد أَبناء الأَمة العربية ولاسيما الفدائيين الفلسطينيين الذين يدافعون عن اراضيهم ،فكان خدام ضد اعمال واجراءات الحكومة الأردنية نحوهم التي عدها استجابة لمساعي (إسرائيل) فشجبها ووقف ضدها .

٤–ارتكزت معالم سياسة عبدالحليم خدام في حرب تشرين الأَول عام١٩٧٣ التي خاضتها سورية إلى جانب مصر اللذان اشتركا معاً في خوض غمار الحرب وفقاً لما تم الاتفاق عليه بين البلدين منذُ بداية برنامجهم السياسي الذي حدد معالمهِ أتحاد الجمهوريات العربية فكان عبدالحليم خدام حلقة وصل بين بلاده والبلدان العربية والأَجنبية الاخرى لنقل قضية بلاده وما يدور على الساحة العربية إلى مختلف انحاء العالم وايضاح مظالم (إسرائيل) نحوها وهذا كان ضمن اطار عمله في السياسة الخارجية السورية الذي جعله ينصب لخدمة جميع أَبناء بلاده .

٥ –كان عبدالحليم خدام رافضاً الاتفاقيات المنفردة التي عقدتها مصر مع (إسرائيل) التي عدها انتهاكاً لما تم بناءه من قبل البلدين وخروجاً عن القاعدة الاساسية التي تؤكد على محاربة (إسرائيل) ليس مفاوضتها والتنازل عند مطالبها التي لا مطالب لها عند العرب وانما لدى العرب حقوق وأَراضي مغتصبة من قبلها وكان يعد اتفاقية سيناء جزءً من المصالحة مع (إسرائيل) جعلت بلاده وحيده في صف المواجهة وعزل مصر عن ساحة الصراع العربي (الإسرائيلي).

٦ – لعبَ عبدالحليم خدام دوراً سياسياً في لبنان بفعل ما شهدته ساحتها بقيام الحرب الأهلية اللبنانية اذ كانت سورية السباقة في مبادرتها لإيجاد الحلول الكفيلة لوضع حد لهذه الحرب وإنهاء الاقتتال الدائر على اراضيها ،وبذلك برزت معالم تحركات عبدالحليم خدام الواضحة والمميزة لوقف التقسيم وإيقاف القتال على الأَراضي اللبنانية عبر مراحل متعددة وكان ذلك نابعاً من حرص بلاده وفقاً لحالة الجوار والتداخل بين البلدين، وضمن سياق السياسة السورية في مواجهة اتفاقية سيناء واثارها وعدم جعل لبنان ساحة للصراع العربي (الإسرائيلي) ، فاتضحت مسيرتهُ في مواكبة تطورات الحرب الأهلية بمساعيه في تقديم الحلول المقترحة لإنهاء تلك الحرب ووقف التدهور العسكري انطلاقاً من رؤيتهِ بأن التدخل السوري جزءً من الحلول لإيقاف الحرب ومساعدة الحكومة اللبنانية في أداء عملها، كما أتضح نشاطه بمواجهة الاجتياح (الإسرائيلي)

في الجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ مستنكراً عملياتهم العسكرية معتبراً أياها موجه بالدرجة الاساس لتقليص الوجود السوري وإنهاء منظمة التحرير الفلسطينية وفسح المجال لتوقيع اتفاق منفرد مع مصر يساهم في عدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية والاعتراف (بإسرائيل) كدولة وهذا ما تم بالفعل وفق اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨ بين مصر (وإسرائيل) فكان لهذه الاتفاقية آثار كبيرة على لبنان ساهمت في اشعال فتيل الحرب أكثر مما كانت عليه، والتي خلقت وضعاً مربكاً في لبنان أسهمت في زيادة مسؤولية عبدالحليم خدام الذي سعى جاهداً في تعاضده مع منظمة التحرير الفلسطينية لمواجهة تلك الاتفاقية كما تعززت مساعيه في الجهود التي بذلها لوقف القتال الدائر على أثر تلك الاتفاقية بقراراته التي كانت واحة امل للمؤتمرين في مؤتمر بيت الدين عام ١٩٧٨ التي تركزت حول سحب القوات السورية من منطقة الاشرفية ،فساهمت تلك القرارات في وقف اطلاق النار الذي حافظت عليه كل من سورية والجبهة اللبنانية .

٧ – تميزت دبلوماسية خدام في السياسة الخارجية السورية بالدور المحوري الذي قام به في تقوية التحالف السوري الإيراني الذي بدأ في بداية عام ١٩٧٩ نتيجة لزوال المعوقات المتمثلة بسقوط حكم الشاه الإيراني، وانتصار الثورة الإيرانية في شباط ١٩٧٩ ورغبة سورية في تشكيل جبهة جديدة على الحدود الشرقية تشمل سورية وإيران لمواجهة الضغط (الإسرائيلي) على دمشق ولخروج مصر من المعركة ضد(إسرائيل) بتوقيعها اتفاقية السلام في ٢٦ آذار ١٩٧٩ التي أنهت الحرب بينها وبين مصر، فَبَذَلَ عبدالحليم خدام أقصى الجهود في استمرار هذا التحالف وأنهت كل المعوقات التي تحاول خلق الخلاف والوتيرة بين الدولتين المتحالفتين فسعى جاهداً بدبلوماسيته تهدئة الصراع بين إيران والخليج العربي التي توترت العلاقة بينهما على أثر الحرب العراقية الإيرانية نضراً لما لهذا الصراع من تأثير على مسيرة التحالف وفقاً لعلاقة سورية مع دول الخليج العربي التي لم تتخلى عنها في حالة تعرضها لخطر الهجوم الإيراني فيكون ذلك خدمةً لمصالح (إسرائيل) في انهاء التحالف السوري الإيراني التي سعت جاهدة من أجل زرع بذور الشقاق والخلاف بين المتحالفين.

٨ – استكمالاً لما كُلفَ بهِ عبدالحليم خدام أثناء تسلمه الملف اللبناني لعام ١٩٧٥ من أَجل أنهاء الحرب الأهلية اللبنانية سعى جاهداً بِصَمت عالي مواجهة الضغوط الداخلية والخارجية التي واجهتها سورية أثناء مبادرتها في حل الأزمة اللبنانية، فبرزت ملامح مسؤوليته التي كلف بها في مواقف متعددة ولا سيما في معركة زحلة وأَزمة الصواريخ السورية عام ١٩٨١ التي دعمت فيها (إسرائيل) الجبهة اللبنانية في صراعها مع القوات السورية ،فضلاً عن قصف عدة مواقع سورية كان القصد منها زيادة الصراع الدائر على الساحة اللبنانية بين السوريين واللبنانيين ولجعل سورية بنظر الدول العربية هي الدولة المعتدية ،فأستطاع عبدالحليم خدام

بدبلوماسيتهِ بطرح مشروع الوفاق الوطني الذي رحبت بهِ بعض أطراف الجبهة اللبنانية والجهات الأخرى لحل الأزمة ألا أن جهوده خُرقت من قبل (إسرائيل) التي حذرت الجبهة بقبولهِ .

٩ – كذلك برز موقف عبدالحليم خدام الرافض لاتفاقية ١٧ آيار ١٩٨٣ التي عقدتها الحكومة اللبنانية مع (إسرائيل) معتبراً تلك الاتفاقية أطاراً لتسليم لبنان لرغبة (إسرائيل) ، وما كان مؤتمر الحوار الوطني في عام ١٩٨٣ الذي كان عبدالحليم خدام ممثلً فيه عن بلاده بصفة مراقب لمناقشة هذه الاتفاقية والصراع الدائر بين مختلف الاطراف نحوها ،توجت مساعيه الرافضة للاتفاقية بإلغائها وعقد مؤتمر الحوار الوطني في جنيف عام ١٩٨٤ الذي اعد عبدالحليم خدام ورقة عمله التي عُرِفت بوثيقة لوزان عام ١٩٨٤طرح فيها عدة مرتكزات تدور في فلك انهاء الخلاف المتفاقم بين المليشيات المتحاربة ومكافأة على جهودهِ التي بذلها في خدمة بلادهِ وَليَ منصب نائب رئيس الجمهورية عام ١٩٨٤ التي كان اولى بها من غيره .

١٠ – وإكمالاً لمساعيه تقدم عبدالحليم خدام بفكرة جمع شتات الميليشيات اللبنانية المتحاربة بتوقيعها الاتفاق الثلاثي عام ١٩٨٥ لتكون حلاً شاملاً ونهائياً للحرب أستطاع بحنكته السياسية بالتأثير على الميليشيات السياسية فوافقته الرأي وتم عقد الاتفاق الذي لقي معارضة من قبل الجبهة اللبنانية وبعض الاطراف التي ساهمت في إلغائهِ ، وعلى أثر ذلك تدهورت العلاقات السورية اللبنانية وبعد مفاوضات مطوله بين الطرفين التي كان عبدالحليم خدام مطلعاً على مجرياتها فتم التوصل إلى وثيقة الوفاق الوطني في عام ١٩٨٩ التي هي عبارة عن صورة مصغرة لوثيقة الاتفاق الثلاثي التي أعدها عبد الحليم خدام فأعتمد عليها المؤتمرين في اتفاق الطائف عام ١٩٨٩ الذي عقد لإنهاء الحرب الأهلية اللبنانية ،وبهذا كان عبدالحليم خدام جريئاً في حل الأزمة اللبنانية ،وواضحاً بدوره الفعال في جعل سورية المسؤولة وحدها في حل الأزمة اللبنانية التي جاهدت من أَجل منع (إسرائيل) في تحقيق نواياها في لبنان على حساب سورية.

وهكذا نستطيع القول ان عبدالحليم خدام كان عربياً قومياً وسياسياً بارزاً ساهم بدبلوماسيته التي جعل فيها سورية تتبوأ الصدارة في المواجهة وباقتراحه ومشاريعه ابعد الأَخطار التي تحيط ببلاده وبتحالفاته وتنقلاته بين الحين والآخر عجلت في رفع مكانة سورية التي تخوفت الولايات المتحدة من نفوذها وعدتها رقماً قياسياً في حساباتها.